

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى

﴿وَلَيْنَ أَذْقَنَهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لِيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾

[فصلت: ٥٠].

قَالَ مُجَاهِدٌ: «هَذَا بِعَمَلِي وَأَنَا مَحْقُوقٌ بِهِ».

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «يُرِيدُ مِنْ عِنْدِي».

وقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨].

قَالَ قَتَادَةُ: «عَلَىٰ عِلْمٍ مِنِّي بِوُجُوهِ الْمَكَاسِبِ».

وَقَالَ آخَرُونَ: «عَلَىٰ عِلْمٍ مِنَ اللَّهِ أَنِّي لَهُ أَهْلٌ».

وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ مُجَاهِدٍ: «أُوتِيتُهُ عَلَىٰ شَرَفٍ».

تمام الآية: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ

لِلْحُسْنَىٰ فَلَنُنِيبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾

[فصلت: ٥٠].

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: بيان أن زعم الإنسان استحقاقه

ما حصل له من النعم بعد الضراء منافع لكمال التوحيد.

ولئن: اللام: لام قسم.

أذقناه: آتيناه.

رحمة: غنى وصحة.

ضراء: شدة وبلاء.

قائمة: أي: تقوم.

ولئن رُجعتُ إلى ربِّي: أي: ولئن قامتِ الساعةُ - على سبيل الافتراض - ورجعتُ إلى ربِّي.

إنَّ لي عنده للحُسنى: أي يكونَ لي عندَ الله في الآخرةِ الحالةُ الحسنَى مِنَ الكرامةِ؛ وذلكَ لاعتقاده أنَّ ما أصابَهُ مِنْ نعمِ الدنيا فهو لاستحقاقِهِ إِيَّاه وليسَ اللهُ فيه فضلٌ.

فلنُنَبِّئَنَّ الذينَ كفروا: فلنُخَبِّرَنَّهُمْ.

بما عملوا: أي: بحقيقةِ أعمالِهِمْ، عكسَ ما اعتقدوه مِنْ حسنٍ مُنقَلِبِهِمْ.

غليظ: أي شديد.

المعنى الإجماليُّ للآية: يخبرُ تعالى أنَّ الإنسانَ في حالِ الضرِّ يضرعُ إلى الله، وينيبُ إليه ويدعُوهُ، وأنَّه في حالِ اليسرِ والسعةِ يتغيرُ حالُهُ، فينكرُ نعمةَ الله عليه، ويعرضُ عن شكرِها؛ لزعمِهِ أنَّه إنَّما حصلتْ لَهُ هذه النعمةُ بكُدِّهِ وكسبِهِ وحولِهِ وقوَّتِهِ، وأعظمُ مِنْ ذَلِكَ أنه ينفي قيامَ الساعةِ وزوالَ الدنيا، ويقولُ: إنَّ قُدْرَ قيامِ الساعةِ فستستمرُّ لي هذه الحالةُ الحسنَى، لأنني أستحقُّها. ثم يعقبُ سبحانه على ذَلِكَ بأنَّه لا بُدَّ أن يوقفَ هذا وأمثاله مِنْ الكافرين على حقيقةِ أعمالِهِم الشنيعةِ ويُجازِيَهُمْ عليها بأشدَّ العقوبةِ.

ما يُستفادُ مِنَ الآية:

١ - وجوبُ شكرِ نعمةِ الله والاعترافِ بأنَّها منه وحدهُ.

٢ - تحريمُ العجبِ والاعتزازِ بالحولِ والقوةِ.

- ٣ - وجوبُ الإيمانِ بقيامِ الساعةِ .
- ٤ - وجوبُ الخوفِ مِنْ عذابِ اللهِ في الآخرةِ .
- ٥ - وعيدُ مَنْ كفرَ بنعمةِ اللهِ .

* * *

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «إِنَّ ثَلَاثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ : أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى ، فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ : فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا : فَأَتَى الْأَبْرَصَ ، فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : لَوْ نُحَسِّنُ ، وَجِلْدُ حَسَنٌ ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذَرَنِي النَّاسُ بِهِ . قَالَ : فَمَسَحَهُ ، فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ ، فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا ، قَالَ : فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : الْإِبِلُ أَوِ الْبَقَرُ - شَكَّ إِسْحَاقُ - فَأُعْطِيَ نَاقَةً عَشْرَاءَ ، وَقَالَ : بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا .

قَالَ : فَأَتَى الْأَقْرَعَ ، فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : شَعْرٌ حَسَنٌ ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذَرَنِي النَّاسُ بِهِ ، فَمَسَحَهُ ، فَذَهَبَ عَنْهُ ، وَأُعْطِيَ شَعْرًا حَسَنًا ، فَقَالَ : أَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : الْبَقَرُ أَوِ الْإِبِلُ ، فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلًا ، قَالَ : بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا .

فَأَتَى الْأَعْمَى : فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : أَنْ يَرُدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ . فَمَسَحَهُ ، فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ ، قَالَ : فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : الْغَنَمُ . فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا ، فَأَنْتَجَ هَذَانِ وَوُلِدَ هَذَا ، فَكَانَ لِهَذَا وَاِدٍ مِنَ الْإِبِلِ ، وَلِهَذَا وَاِدٍ مِنَ الْبَقَرِ ، وَلِهَذَا وَاِدٍ مِنَ الْغَنَمِ .

قَالَ : ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ ، فَقَالَ : رَجُلٌ مِسْكِينٌ ، قَدْ انْقَطَعَتْ بِي الْحَبَالُ فِي سَفَرِي ، فَلَا بَلَغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا

بِاللهِ ثُمَّ بِكَ ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ وَالْحِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ ، بَعِيرًا أَتَبْلَغُ بِهِ فِي سَفَرِي ، فَقَالَ : الْحَقُّوقُ كَثِيرَةٌ . فَقَالَ لَهُ : كَأَنِّي أَعْرِفُكَ ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْدُرُكَ النَّاسُ ، فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمَالَ ؟ فَقَالَ : إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ . فَقَالَ : إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيِّرْكَ اللهُ إِلَيَّ مَا كُنْتَ .

وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا ، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا ، فَقَالَ : إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيِّرْكَ اللهُ إِلَيَّ مَا كُنْتَ .

قَالَ : وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ ، فَقَالَ : رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ قَدْ انْقَطَعَتْ بِيَ الْجِبَالُ فِي سَفَرِي ، فَلَا بَلَاغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ شَاءَ أَتَبْلَغُ بِهَا فِي سَفَرِي . فَقَالَ : قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصْرِي ، فَخُذْ مَا شِئْتَ ، وَدَعْ مَا شِئْتَ ؛ فَوَاللهِ لَا أَجْهَدُكَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ اللهُ .

فَقَالَ : أَمْسِكْ مَالَكَ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ : فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ^(١) أَخْرَجَاهُ .

أَخْرَجَاهُ : أَيُّ : الْبَخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

أَبْرَصُ : الْأَبْرَصُ : مَنْ بِهِ دَاءُ الْبَرَصِ وَهُوَ : بَيَاضٌ يَظْهَرُ فِي ظَاهِرِ

(١) أَخْرَجَهُ الْبَخَارِيُّ بِرَقْم (٣٤٦٤) وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٢٩٦٤) .

البدن لفساد المزاج .

وأقرع : هو : من به قرعٌ وهو : داءٌ يصيبُ الصبيانَ في رؤوسِهِم ثم ينتهي بزوالِ الشعرِ أو بعضِهِ ويطلقُ القرعُ أيضاً على الصلَع .
وأعمى : هو : من فَقَدَ بَصَرَهُ .

أن يتليهم : أي : يختبرُهُم بنعمته .
قَدَرَنِي الناسُ : بكسرِ : الدَّالِ أي : كَرِهُوا مخالطَتي وعدُونِي مستقذراً من أَجلِهِ .

شكَّ إسحاقُ : هو ابنُ عبدِ الله بنِ أبي طلحةَ راوي الحديثِ .
عُشراءُ : بضمِّ العينِ ، وفتحِ الشينِ والمدُّ وهي : الناقةُ الحاملُ التي أتى على حملِها عشرةُ أشهرٍ أو ثمانيةُ .

والدأ : أي : ذاتِ ولدٍ أو التي عُرِفَ منها كثرةُ الولدِ والنتاجِ .
أنتجَ : أي : تولى صاحبُ الناقةِ وصاحبُ البقرةِ نتاجَهُمَا .
وولَدَ : بتشديدِ اللامِ أي : تولى ولادَهَا .
وكان لهذا واد . . . إلخ : أي : كَانَ لِكُلِّ واحدٍ منهم ما يملأُ الوادي مِنْ الإبلِ والبقرِ والغنمِ .

انقطعتْ بي الحبالُ : أي : أسبابُ المعيشةِ .
أُتْبِغُ بِهِ : أي : أَتوصَّلُ بِهِ إلى البلدِ الذي أريدُهُ .
كابراً عن كابرٍ : أي : وَرِثْتُ هَذَا المَالَ عن كبيرٍ وَرِثَهُ عن كبيرٍ آخر في الشرفِ .

صَيَّرَكَ اللهُ إلى ما كنتَ : أي : رَدَّكَ إلى حالِكَ الأولى برجوعِ العَاهَةِ إليك .

لا أَجْهَدُكَ : أي : لا أَشَقُّ عَلَيْكَ بردَّ شيءٍ تَأْخُذُهُ مِنْ مَالِي .

المعنى الإجمالي للحديث: يخبر ﷺ عَنْ هَؤُلَاءِ الثَلَاثَةِ الَّذِينَ أُصِيبَ كُلُّ مِنْهُمْ بِعَاهَةٍ فِي الْجِسْمِ وَفَقْرٍ مِنَ الْمَالِ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَخْتَبِرَهُمْ، فَأَزَالَ مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْعَاهَاتِ وَأَدَّرَ عَلَيْهِمُ الْأَمْوَالَ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ الْمَلِكَ بِهَيْئَتِهِ الْأُولَى مِنْ: الْمَرْضَى وَالْقَرْعِ وَالْعُمَى وَالْفَقْرِ يَسْتَجِدِّيهِ شَيْئًا يَسِيرًا، وَهَذَا تَكْشَفَتْ سَرَائِرُهُمْ وَتَجَلَّتْ حَقَائِقُهُمْ، فَالْأَعْمَى اعْتَرَفَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَنَسَبَهَا إِلَى مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ بِهَا، فَأَدَّى حَقَّ اللَّهِ فِيهَا، فَاسْتَحَقَّ الرِّضَا مِنَ اللَّهِ، وَكَفَرَ الْآخِرَانِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِمَا وَجَحَدَا فَضْلَهُ فَاسْتَحَقَّا السَّخَطَ بِذَلِكَ.

مناسبة الحديث للباب: أَنَّ فِيهِ بَيَانَ حَالِ مَنْ كَفَرَ النِّعَمَ وَمَنْ شَكَرَهَا.

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ :

- ١ - وجوب شكر النعمة في المال وأداء حق الله فيه .
- ٢ - تحريم كفر النعمة ومنع حق الله في المال .
- ٣ - جواز ذكر حال مَنْ مَضَى مِنَ الْأُمَمِ ؛ لِيَتَعَذَّبَ بِهِ مَنْ سَمِعَهُ .
- ٤ - أَنَّ اللَّهَ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِالنِّعَمِ .
- ٥ - مشروعية قول: بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ ، فيكون العطف بـ (ثم) لا بـ (الواو) في مثل هذا التعبير .

* * *

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى

﴿ فَلَمَّا ءَاتَاهُمَا صَلَاحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩٠].

قَالَ ابْنُ حَزْمٍ: «اتَّفَقُوا عَلَى تَحْرِيمِ كُلِّ اسْمٍ مُعَبَّدٍ لغيرِ اللَّهِ: عَبَدَ عَمَرُو، وَعَبَدَ الْكَعْبَةَ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، حَاشَا عَبْدَ الْمُطَلِّبِ».

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي الْآيَةِ، قَالَ: «لَمَّا تَغَشَّاهَا آدَمُ حَمَلَتْ، فَأَتَاهُمَا إِبْلِيسُ، فَقَالَ: إِنِّي صَاحِبُكُمَا الَّذِي أَخْرَجْتُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ، لَتُطِيعَنِي أَوْ لَأَجْعَلَنَّ لَهُ قَرْنِي أَبِلَ، فَيَخْرُجُ مِنْ بَطْنِكَ فَيَسْقُهُ، وَلَا فَعْلَنَ، وَلَا فَعْلَنَ، - يُخَوِّفُهُمَا -؛ سَمِّيَاهُ عَبْدَ الْحَارِثِ؛ فَأَبَيَا أَنْ يُطِيعَاهُ فَخَرَجَ مَيِّتًا.

ثُمَّ حَمَلَتْ فَأَتَاهُمَا أَيْضًا فَقَالَ مِثْلَ قَوْلِهِ: فَأَبَيَا أَنْ يُطِيعَاهُ، فَخَرَجَ مَيِّتًا. ثُمَّ حَمَلَتْ فَأَتَاهُمَا فَذَكَرَ لَهُمَا فَأَذْرَكَهُمَا حُبَّ الْوَلَدِ، فَسَمِّيَاهُ عَبْدَ الْحَارِثِ؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا ﴾^(١). رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ.

وَلَهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: «شُرَكَاءَ فِي طَاعَتِهِ وَلَمْ يَكُنْ فِي عِبَادَتِهِ».

(١) أخرجه الترمذي برقم (٣٠٧٧) والحاكم (٥٤٥/٢) وصححه.

وَلَهُ بَسَنَدٌ صَحِيحٌ عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَيْنَاءُ تَيْتَنًا صَالِحًا﴾
 قَالَ: «أَشْفَقًا أَنْ لَا يَكُونَ إِنْسَانًا». وَذَكَرَ مَعْنَاهُ عَنِ الْحَسَنِ وَسَعِيدٍ
 وَغَيْرِهِمَا.

التراجُم: ابنُ حزم هو: عالمُ الأندلسِ أبو محمدٍ عليُّ بنُ أحمدَ بنِ
 سعيد بنِ حزمِ القرطبيُّ الظاهريُّ توفِّي سنة ٤٥٦ هـ رحمه الله.
 مناسبةُ هذا البابِ لكتابِ التوحيد: بيانُ أنَّ تعييدَ الأولادِ وغيرِهِم
 لغيرِ الله في التسميةِ شركٌ في الطاعةِ وكفرٌ للنعمةِ.
 آتَاهُمَا: أي: أعطى آدمَ وحواءَ ما طلباهُ مِنَ الولدِ الصالحِ.
 صالحاً: أي: ولدًا سويًّا.
 جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ: أي: جَعَلَا لِلَّهِ شَرِيكَاً فِي الطَّاعَةِ.
 فيما آتَاهُمَا: أي: مَا رَزَقَهُمَا مِنَ الولدِ بَأَنْ سَمَّيَاهُ عَبْدَ الْحَارِثِ وَلَا
 يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَبْدًا إِلَّا لِلَّهِ.
 فَتَعَالَى اللَّهُ: أي: تَنَزَّهَ.
 عَمَّا يُشْرِكُونَ: أي: عَمَّا يَفْعَلُهُ أَهْلُ مَكَّةَ مِنَ الشَّرِكِ بِاللَّهِ، فَهُوَ
 انتَقَالَ مِنْ ذِكْرِ الشَّخْصِ إِلَى ذِكْرِ الْجِنْسِ.
 اتَّفَقُوا: لَعَلَّ مَرَادَهُ حِكَايَةُ الإِجْمَاعِ.
 على تحريمِ كُلِّ اسمٍ معبَّدٍ لغيرِ الله: لِأَنَّهُ شَرِكٌ فِي الرُّبُوبِيَّةِ
 وَالْإِلَهِيَّةِ؛ لِأَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ مَلِكٌ لِلَّهِ وَعَبِيدٌ لَهُ.
 حَاشَا عَبْدَ الْمَطْلَبِ: أي: فَلَمْ يَتَّفِقُوا عَلَى تَحْرِيمِ التَّسْمِيَةِ بِهِ؛ لِأَنَّ
 أَصْلَهُ مِنَ عِبُودِيَةِ الرِّقِّ، أَوْ لِأَنَّهُ مِنْ بَابِ الإِخْبَارِ بِالاسْمِ الَّذِي عُرِفَ بِهِ

المسمَّى لَا مِنْ بَابِ إِنْشَاءِ التَّسْمِيَةِ .
 تَغَشَّاهَا : التَّغَشَّى : كَنَاءَةٌ عَنِ الْجَمَاعِ .
 أَيْل : بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَكَسْرِ الْيَاءِ مُشَدَّدَةً : ذَكَرُ الْأَوْعَالِ .
 سَمِيَاهُ عَبْدُ الْحَارِثِ : وَكَانَ الْحَارِثُ اسْمَ إِبْلِيسَ فَأَرَادَ أَنْ يُسَمِّيَاهُ
 بِذَلِكَ ؛ لِتَحْصُلِ صُورَةُ الْإِشْرَاقِ بِهِ .
 أَذَرَكُهُمَا حُبُّ الْوَلَدِ : أَيِ : حُبُّ سَلَامَةِ الْوَلَدِ وَهَذَا مِنَ الْامْتِحَانِ .
 أَشْفَقَا : أَيِ : خَافَا .

أَنْ لَا يَكُونَ إِنْسَانًا : أَيِ : بِأَنْ يَكُونَ بِهِيمَةً .
 الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ لِلآيَةِ : يَخْبِرُ تَعَالَى عَنْ آدَمَ وَحَوَاءَ أَنَّه لَمَّا أَجَابَ
 دُعَاءَهُمَا وَرَزَقَهُمَا وَلَدًا سَوِيًّا عَلَى الصِّفَةِ الَّتِي طَلَبَا ، لَمْ يَقُومَا بِشُكْرِ تِلْكَ
 النِّعْمَةِ عَلَى الْوَجْهِ الْمَرِضِيِّ كَمَا وَعَدَا بِذَلِكَ ، بَلْ سَمَّيَاهُ عَبْدَ الْحَارِثِ ؛
 فَعَبَّدَاهُ لَغَيْرِ اللَّهِ ، وَمِنْ تَمَامِ الشُّكْرِ أَنْ لَا يُعَبَّدَ الْإِسْمُ إِلَّا لِلَّهِ ، فَحَصَلَ مِنْهُمَا
 بِذَلِكَ شُرْكٌ فِي التَّسْمِيَةِ لَا فِي الْعِبَادَةِ . ثُمَّ نَزَّهَ نَفْسَهُ عَنِ الشُّرْكِ عُمُومًا فِي
 التَّسْمِيَةِ وَفِي الْعِبَادَةِ .

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَةِ :

١ - تَحْرِيمُ التَّسْمِيَةِ بِكُلِّ اسْمٍ مَعْبُودٍ لَغَيْرِ اللَّهِ ، كَعَبْدِ الْحَسَنِ ، وَعَبْدِ
 الرَّسُولِ ، وَعَبْدِ الْكَعْبَةِ .

٢ - أَنَّ الشُّرْكَ يَقَعُ فِي مَجْرَدِ التَّسْمِيَةِ وَلَوْ لَمْ تَقْصُدْ حَقِيقَتَهَا .

٣ - أَنَّ هِبَةَ اللَّهِ لِلرَّجُلِ الْوَلَدِ السَّوِيِّ مِنَ النِّعَمِ الَّتِي تَسْتَحِقُّ الشُّكْرَ .

٤ - أَنَّ مِنْ شُكْرِ إِنْعَامِ اللَّهِ بِالْوَلَدِ تَعْبِيدُهُ لِلَّهِ .

* * *

بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ (١)

الآية .

ذَكَرَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : ﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ : «يُشْرِكُونَ» . وَعَنْهُ : سَمَّوُا اللَّاتَ مِنَ الْإِلَهِ وَالْعُزَّى مِنْ الْعَزِيزِ «وَعَنِ الْأَعْمَشِ : «يُدْخِلُونَ فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا» .

تمامُ الآية : ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف : ١٨٠] .

مناسبةُ هذا البابِ لكتابِ التوحيدِ : أَرَادَ المصنِفُ رحمه الله بهذا البابِ الردَّ على من يتوسَّلُ إلى الله بالأمواتِ ، وأنَّ المشروعَ التوسُّلُ إلى الله بأسمائه الحسنَى وصفاته العليَا .

التراجُمُ : الأعمشُ هو : سليمانُ بنُ مهرانَ الكوفيُّ الفقيهُ ثقةٌ حافظٌ ورعٌ مات سنة ١٤٧ هـ رحمه الله .

الأسماءُ الحسنَى : التي بلغتِ الغايةَ في الحسنِ فليسَ في الأسماءِ أحسنُ منها وأكملُ ولا يقومُ غيرها مقامَها .

فادْعُوهُ بِهَا : أي : اسأَلُوهُ وتوسَّلُوا إِلَيْهِ بِهَا .

(١) فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة ، وهو وتر يحب الوتر» أخرجه البخاري برقم (٦٤١٠) ومسلم برقم (٢٦٧٧) .

وذروا الذين: أي: اتركوهم وأعرضوا عن مُجَادَلَتِهِمْ.
يُلْحِدُونَ: الإلحاد: الميل، أي: يميلون بها عن الصوابِ إمَّا
بِجَحْدِهَا أو جَحْدِ مَعَانِيهَا أو جعلها أسماء لبعض المخلوقات.
يُلْحِدُونَ في أسمائه: أي: يُشْرِكُونَ غيرَهُ في أسمائه كتسميتهم
الصنمِ إلهاً.

سَيُجْزَوْنَ ما كانوا يعملون: وعيدٌ شديدٌ وتهديدٌ بنزول العقوبة
بهم.

وعنه: أي: عن ابن عباس.
سمّوا اللات... إلخ: بيانٌ لمعنى الإلحاد في أسمائه: أنهم
اشتقوا منها أسماء لأصنامهم.

يدخلون فيها ما ليس منها: أي: يدخلون في أسماء الله ما لم يُسمَّ
به نفسه ولم يُسمَّ به رسوله.

المعنى الإجمالي للآية: أخبر تعالى عن نفسه أنَّ له أسماءً قد
بلغت الغاية في الحسن والكمال؛ وأمر عباده أن يسألوه ويتوسلوا إليه
بها، وأن يتركوا الذين يميلون بهذه الأسماء الجليّة إلى غير الوجهة
السليمة، وينحرفون بها عن الحقّ بشتى الانحرافات الضالة، وأن هؤلاء
سيلقون جزاءهم الرادع.
ما يُستفاد من الآية:

- ١ - إثبات الأسماء والصفات لله عزّ وجلّ على ما يليق بجلاله.
- ٢ - أن أسماء الله حسنى.
- ٣ - الأمر بدعاء الله والتوسل إليه بأسمائه.
- ٤ - تحريم الإلحاد في أسماء الله بنفيها أو تأويلها أو إطلاقها على بعض

المخلوقاتِ .

- ٥ - الأمرُ بالإِعْراضِ عَنِ الجَاهِلِينَ والمُلْحِدِينَ وإِسْقَاطِهِمْ مِنَ الاعتبارِ .
- ٦ - الوَعِيدُ الشَّدِيدُ لِمَنْ أَلْحَدَ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ .

* * *

بَابُ: لَا يُقَالُ السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ

فِي الصَّحِيحِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الصَّلَاةِ، قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ، السَّلَامُ عَلَى فُلَانٍ، وَفُلَانٍ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَقُولُوا: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ»^(١).

مناسبة الباب لكتاب التوحيد: لَمَّا كَانَ السَّلَامُ عَلَى الشَّخْصِ معناه: طَلَبَ السَّلَامَةِ لَهُ مِنَ الشُّرُورِ، وَالْآفَاتِ، امْتَنَعَ أَنْ يُقَالَ السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ السَّالِمُ مِنْ كُلِّ آفَةٍ وَنَقْصٍ، فَهُوَ يُدْعَى وَلَا يُدْعَى لَهُ، وَيُطَلَّبُ مِنْهُ وَلَا يُطَلَّبُ لَهُ؛ فَهَذَا الْبَابُ فِيهِ وَجُوبُ تَنْزِيهِ اللَّهِ عَنِ الْحَاجَةِ وَالنَّقْصِ وَوَصْفِهِ بِالْغَنَى وَالْكَمَالِ.

فِي الصَّحِيحِ: أَيُّ: الصَّحِيحِينَ.

قُلْنَا السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ: أَيُّ: فِي الشَّهَادَةِ الْأَخِيرَةِ، كَمَا فِي بَعْضِ الْفَاضِ

الْحَدِيثِ.

لَا تَقُولُوا السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ: هَذَا نَهْيٌ مِنْهُ ﷺ عَنِ التَّسْلِيمِ عَلَى اللَّهِ.

فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ: تَعْلِيلٌ لِلنَّهْيِ، بِأَنَّ السَّلَامَ مِنْ أَسْمَائِهِ سُبْحَانَهُ، فَهُوَ غَنِيٌّ عَنْ أَنْ يُسَلَّمَ عَلَيْهِ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ بِرَقْم (٨٣٥) وَمُسْلِمٌ بِرَقْم (٤٠٢).

المعنى الإجمالي للحديث: يخبر ابن مسعود - رضي الله عنه -
أنهم كانوا يسلمون على الله، فنهاهم النبي ﷺ عن ذلك، وبين لهم أن
ذلك لا يليق بالله؛ لأنه هو السلام ومنه السلام، فلا يليق به أن يسلم
عليه، بل هو الذي يسلم على عباده ويسلمهم من الآفات.
مناسبة الحديث للباب: أنَّ فيه النهي عن أن يُقال: السلام على
الله.

ما يُستفاد من الحديث:

- ١ - النهي عن السلام على الله.
- ٢ - أنَّ السلام من أسمائه سبحانه.
- ٣ - تعليم الجاهل.
- ٤ - قرن الحكم بعلمته.

* * *